

صغيرة جداً ولطيفة مثله، هائلة ومتواضعة في آن . . .

لعل الخط الفاصل بين الموتى والأحياء في قلوبنا ليس نهائياً إلى المدى الذي يحب البعض أن يتوهمه.

ثمّة أحياء في قلوبنا ماتوا من زمان وأموات داخلنا ما زالوا يتحركون حولنا مثل ذكرى حزينة لما كانوا عليه ذات يوم قبل موتهم غير المعلن في أعماقنا . . .

بعد مغادرة زوجي لقشرته الطينية (ولا أقول موته) وعيت أن الخط الفاصل بين الموتى والأحياء وهمي ككل ما نحب أن ندّعيه حاسماً وقاطعاً في حياتنا . .

صرت حين أذهب إلى التدريس وأغادر مترو (جورج سانك) وأمشي في الشانزليزيه أتساءل: كيف أميز الناس من الأشباح بعد اليوم؟

هل أولئك الذين أراهم في الشوارع وخلف نوافذ البيوت وفي المطارات والقطارات هم كلهم من الأشباح أم من البشر؟

هذه السيدة المسنة بزيئة من سنوات الخمسينات، الجالسة في المقهى، هل هي حية أم ميتة؟

أهرب إلى التدريس وأعمل طوال النهار وحين أتخلص من نواف وأعود إلى وكري أنصت إلى الموسيقى وأكتب داخل رأسي رواية جديدة إلى أشباحي عن أشباحي.

أتساءل: ألا تحوّلي الكتابة إلى محضرة أرواح حيث يستولي الأشباح على حنجرتي ويقولون كلمتهم؟ أليس الأديب بهذا المعنى مجرد وسيط روحاني بين بطل القصة والقارئ؟ . .

يا إلهي كيف أنام الليلة؟ وهل كان على زكية أن تختارني من بين الناس جميعاً لتلجأ إلى «بيت أشباحي» بشبحها، موقظة عذاباتي مرة واحدة؟

عبتاً أنام . . . بينما غرقت غلوريا/زكية في النوم فيما يبدو، ها هي تدخل الآن إلى مستنقعات متحركة أشد غموضاً اسمها الأحلام والكوابيس مسكونة بأشباح الذين تعرفهم أو تجهلهم. لعلها لا تدري بعد أن كل أولئك الذين تراهم في أحلامها ولا تعرفهم هم أشباح أشخاص حقيقيين.